

البحث العلمي و آفاق التأصيل لوجود لغات متخصصة " دراسة في المبادئ والآليات "

صفية مكناسي

Mak-s@hotmail.fr

جامعة ابن خلدون – تيارت

تاريخ النشر 2022/12/15	تاريخ القبول 2022/11/01	تاريخ الإرسال 2022/10/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

إن الحديث عن تعريف موحد للبحث العلمي من الصعوبة بمكان، حيث تصادفنا كثير من التداخلات في منهجية البحث بين البحث العلمي، والبحث الأدبي، والتقدي، والبحث اللغوي، وقبل هذا بين البحث العلمي والبحث اللاعلمي (العشوائي) والتساؤل الذي تطرحه هذه الورقة البحثية مفاده هل لهذه المصطلحات المقدمة ضوابط تؤطرها، وتجعلها تؤسس وتوصل لوجود قاعدة لانباء لغات متخصصة بين ما هو لغوي، وما هو أدبي وما هو نقدي، وبين ما هو علمي وآخر غير علمي، أم أن هذه الفوارق بين المصطلحات مجرد شعارات والواقع أن البحث في مجال اللغة والأدب بحث يشوبه التداخل بين اللغويات والأدبيات اللهم إلا الاحتكام إلى الإطار الأكاديمي المحض، وإذا كانت هناك فوارق بين لغة هذه التوجهات المتخصصة ما هي هذه الفوارق، والسمات التي تجعلنا نميز بين لغة البحث في اختصاص اللغة، والأدب، والنقد، وهل هذه الفوارق منهجية أم فوارق في اللغة البحثية والسمات الأسلوبية التي تمتاز بها، أم أنها فوارق في الإجراءات والآليات البحثية المستعملة؟

Résumé:

La discussion sur une définition qui soit identique et commune de la recherche scientifique est très difficile, on se trouve obstrué par de nombreuses objections sur la méthodologie de la recherche scientifique, littéraire, critique voire même la rhétorique; et avant tous cela, entre la recherche scientifique et la recherche non scientifique (spontanée) et la problématique dont il est question dans cette page de recherche est de savoir si les termes avancés ont des règles qui les cadrent pour avoir par la suite une règle pour donner des langues spéciales de ce qui est rhétorique, littéraire et critique, puis entre ce qui est ce qui est scientifique et non scientifique, ou si ces différences entre les termes n'est que des slogans.

En vérité, la recherche dans le domaine de la langue et la littérature reste retroversée entre les deux domaines sauf si on se réfère au cadre académique pur. Et si ces différences sont de base méthodologique ou ils résident dans la langue de recherche et les caractéristique de style qui la distinguent ou ils sont des différences dans les procédures et les méthodes de recherche utilisées?

تعريف البحث:

البحث لغة هو طلب الشيء والتفتيش والسؤال عنه، حيث ورد في لسان العرب لابن منظور "البحث طلبك الشيء، وبحثه يبحثه بحثا وابتحثه، والبحث أن تسأل عن شيء وتستخير، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا سأل، وكذلك استبحثه واستبحثت عنه، واستبحثت وابتحثت وبحثت عن الشيء بمعنى واحد أي فتشت عنه"⁽¹⁾، أما اصطلاحا البحث طلب المعرفة حول موضوع معين، من خلال الاستعانة بجملته من الوسائل والأدوات المتاحة من أجل اكتشاف حثيات هذه المعرفة⁽²⁾، كما يعني البحث الإجابة على مجموعة من الأسئلة، والانشغالات التي تتصل بموضوع المعرفة، ونشر هذه المعرفة بين الناس من أجل الاستفادة منها.

البحث العلمي:

إنّ الحديث عن مفهوم موحد للبحث العلمي من الصعوبة بمكان بالنظر إلى اختلاف الرؤى حول ماهية العلميّة في البحث، وقبل عرض هذه الآراء نكشف التعاريف والمفاهيم الأكثر تداولاً حوله، حيث ذهب البعض إلى اعتباره ذاك النشاط الإنساني المتنوع الأساليب والأهداف، وقد وصف بالعلميّة لتميّزه عن البحث العشوائي، وذلك لأنّ البحث العلمي يعتمد أدوات وخطوات منهجيّة منظمة بغض النّظر عن موضوعه وتخصّصه⁽³⁾، فالعلميّة من خلال هذا الطرح تخص الآليات والإجراءات المنهجية المعتمدة في إعداد البحوث.

حيث البحث العلمي يخص جملة النّشاطات الإنسانيّة التي ترتبط بطريقة مخصصة في عمليّة التّقصي، فكلمة "العلمي منسوبة إلى العلم، والعلم يعني المعرفة والدراية، وإدراك الحقائق، والعلم في طبيعته طريقة تفكير، وطريقة بحث أكثر ممّا هو طائفة من القوانين الثّابتة، وهو منهج أكثر ممّا هو مادة للبحث، فهو منهج لبحث كلّ العالم الإمبريقي المتأثر بتجربة الإنسان وخبرته"⁽⁴⁾، فيأخذ البحث سمة العلميّة من هذه الميكانيزمات المعتمدة، وكلّ بحث يخرج عن أطر ومنطلقات هذه الأسس تسحب منه هذه السمة، فيبقى مجرد بحث عشوائي.

إنّ المقصود بالبحث العلمي طريقة البحث ذاتها والأدوات المعتمدة والمنهجية المتبعة، حيث لا يقصد بالبحث العلمي البحث الذي يختص بالعلوم الطبيعيّة، والتّطبيقية فقط بل يقصد به كلّ بحث

تمّ إعداده وفق الطريقة العلميّة، أو المنهج العلمي سواء كان في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية أو الطبيعية التطبيقية⁽⁵⁾. فكل بحث تحققت فيه شروط وأساسيات البحث المنظم، والمؤطر وفق منهجية علمية نسميه بحثاً علمياً، بغض النظر عن التخصص الذي ينتمي إليه، ليكون بهذا "البحث العلمي حزمة من الطرائق والخطوات المنظمة والمتكاملة تستخدم في تحليل وفحص معلومات قديمة، بهدف التوصل إلى نتائج جديدة، وهذه الطرائق تختلف باختلاف البحث العلمي، ووظائفه وخصائصه وأساليبه"⁽⁶⁾.

من التعاريف والمفاهيم التي حاولت التقبض على ماهية البحث العلمي ومفهومه نجد الآتي:

- هو محاولة لاكتشاف المعرفة، و التنقيب عنها، وتنميتها، وفحصها وتحقيقها بتقص دقيق، و نقد عميق، و موضوعية، ثمّ عرضها عرضاً مكتملاً لتساهم في بناء الحضارة الإسلامية.

- هو استخدام الطرق والأساليب العلميّة للوصول إلى حقائق جديدة، والتّحقق منها، والإسهام في نمو الإنسانية.

- هو المحاولة الدقيقة الناقدة للتّوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره.

- هو الدّراسة العلميّة المنظمة لظاهرة معينة باستخدام المنهج العلمي للوصول إلى حقائق يمكن توصيلها والتّحقق من صحتها⁽⁷⁾.

تلقي هذه التعاريف السالفة الذكر عند ثلاثة عناصر أساسية ينبغي توفرها في أي بحث علمي وهي الموضوع، والمنهج، والهدف، حيث البحث العلمي يستدعي موضوعاً يدور حوله البحث، أو حقيقة ينبغي التّوصل لها، ومن ثمّ التنقيب عن حيثياتها، وهذا التنقيب يكون وفق طريقة منهجية مضبوطة ومعينة، من أجل الوصول إلى هدف مرصود من البداية.

1-الموضوع:

لكل بحث موضوع تدور حوله حيثياته، و ينضوي على إشكالية محددة يحاول الإجابة عنها، حيث "البحث العلمي يستدعي وجود مشكلة أو ظاهرة معينة تشغل بال الباحث، وتحثه عن الكشف عن أسرارها"⁽⁸⁾ وتتعدد الظواهر هنا من إنسانية إلى اجتماعية إلى معرفية وشتى الميادين، إلا أنّها تتفق في الفائدة التي تضيفها للإنسانية.

2-المنهج:

ينبغي للباحث الاستعانة بأحد مناهج البحث العلمي، وفق طبيعة الدّراسة وأهدافها، حيث "تختلف مناهج البحث من حيث طريقتها في اختيار صحة الفروض، ويعتمد ذلك على طبيعة وميدان

المشكلة موضع البحث، فقد يصلح المنهج التجريبي في دراسة مشكلة لا يصلح فيها المنهج التاريخي أو دراسة الحالة، وكثيراً ما تفرض المشكلة المنهج الذي يستخدمه الباحث⁽⁹⁾ كذلك يجب على الباحث معرفة طريقة التعامل مع المنهج، حيث ينبغي على الباحث أن يتبع خطوات المنهج بحياد وموضوعية، لأن استخدام منهج علمي بحياد وموضوعية يجعل نتائج بحثه قابلة للاختبار، والتحقق من صحتها من قبل أي باحث يستخدم ذات المنهج والأدوات⁽¹⁰⁾.

3-الهدف :

ينبغي لأي بحث أن ينضوي على هدف أو غاية يتوخى الباحث تحقيقها سواء على الصعيد المعرفي أو الاجتماعي أو الأدبي أو التربوي أو الاقتصادي أو السياسي⁽¹¹⁾، وذلك لأن البحث إذا انتفى منه عنصر الفائدة لا نستطيع تصنيفه ضمن قائمة البحوث العلمية، لأن من شروطها وجود فائدة معرفية ملموسة.

أصناف البحوث العلمية:

إذا سلمنا بأن البحث العلمي سمة لتلك الآليات والأدوات المستعملة، والمنهجية المتبعة في عملية التّقصي والتّفتيش عن المعرفة، فإنّ مجالات المعرفة متعددة، منها التّخصصات العلمية، والأدبية، والاجتماعية، والإنسانية، والفكرة التي يدور حولها هذا البحث هي التّأصيل لوجود لغات متخصصة داخل التّخصص ذاته، حيث في مجال اللّغة والأدب نستطيع أن نصنف البحوث العلمية فيها إلى لغوية، وأدبية، ونقدية، وهذا ما استدعينا لكشف خصائص البحث العلمي في كلّ تخصص من هذه التّخصصات الفرعية من ناحية اللّغة، والأسلوب، والمنهج المعتمد، وطريقة التّعامل مع المادة المعرفية، وقبل أن نطرق هذا التّوجه، نعرّج أولاً على أنواع البحوث العلمية وأشكالها.

أقسام البحوث العلمية:

1-البحث الأساسي: ويطلق عليه أيضاً البحث النظري أو البحث البحت، ويهدف هذا القسم من البحوث إلى التّعمق في فهم الظواهر، وإثراء المعرفة الإنسانية التّراكمية، واكتشاف مجالات جديدة للبحوث، كما ذهب إلى ذلك خالد الهاشمي إلى اعتبار أن البحث الأساسي يسعى إلى تنمية المعلومات العلمية البحتة، سواء من خلال تطوير المعارف القائمة، أو ابتداء معارف جديدة، أو من خلال استخلاص نتائج جديدة من نظريات قائمة⁽¹²⁾.

2-البحث التّطبيقي: وهو ذلك البحث الذي يهدف إلى تطبيق النتائج التي يتوصل إليها الباحث في حل المشكلات التي تؤرق المجتمع، ويستلهم نتائج الأبحاث الأساسية والمنجزات العلمية، ويحاول وضعها في صيغ علمية مناسبة تيسر الإفادة منها في حل تلك المشاكل في العديد من التخصصات الإنسانية

كالتربية والتعليم، كما أنه يستثمر نتائج الأبحاث الأساسية في بعض المجالات العلمية كالطب والصيدلة في تحقيق عوائد اقتصادية⁽¹³⁾.

3- البحث التطويري الإنمائي: وهو بحث يهتم بالكشف عن الجوانب المجهولة في بعض الموضوعات التي فرغت منها البحوث الأساسية، والبحوث التطبيقية، ويسعى أيضا إلى تنمية نتائج البحوث الأساسية، كما يستخدم نتائج البحوث التطبيقية لإنتاج أدوات جديدة تساعد في تسيير عملية البحث، أو ابتكار طرق وأساليب جديدة لمعالجة بعض الأمور، كما يهدف إلى تطوير المعرفة الإنسانية واستغلالها⁽¹⁴⁾.

مجالات البحث العلمي في اللغة والأدب:

تتعدد البحوث العلمية في مجال اللغة والأدب العربي إلى مجالات ثلاثة، اللغوية والأدبية والنقدية ولكل فرع من هذه الفروع خصائص وسمات يتميز بها عن غيره على مستوى البحث العلمي ذاته واللغة المستخدمة في ذلك، والأدوات والآليات المعتمدة، وطريقة التحليل والتناول، ولكل مجال من هذه المجالات البحثية ظواهر معرفية تبحث فيها، وهي أنسب في الوصول إلى خباياها أكثر من غيرها، حيث نجد:

- البحوث العلمية اللغوية:

تختص هذه البحوث بالطابع اللغوي، وتصوّب الدراسات فيها نحو " البحث في أصل اللغة أو نشأتها، وفي حياة اللغة وما طرأ عليها في تاريخها الطويل من غني وفقر أو سعة وضيق، وما تعرضت له من انقسام إلى لهجات، وما واجهته من صراع مع غيرها من اللغات، وكذلك البحث في الأصوات التي تتألف منها اللغة وأقسامها وخصائصها، وخواص كلّ مجموعة من الأصوات ومخارجها، والنتائج اللغوية التي تترتب عنها، والقوانين التي تخضع لها، وكذلك البحث في علم الدلالة ومجالاته المتنوعة، سواء ما يتصل منها بمعاني الألفاظ، أو ما يتصل باشتقاق الألفاظ وتصريفها، وتغير أبنيتها، ومن يترتب عليه من تغير دلالتها، كذلك البحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف الأجناس الأدبية، ومحاولة الوقوف على أثر هذه العوامل المتنوعة في اللغة⁽¹⁵⁾.

- البحوث العلمية الأدبية:

في مجال الأدب يمكن البحث في جنس من أجناس الأدب كالشعر والخطابة، أو في علم من أعلام الأدب، والعوامل التي أثرت في تكوين شخصيته، والوقوف على سمات أدبه، وتأثيره في الحياة الأدبية، كما يمكن البحث في موضوع من موضوعات الأدب كالمعلقات أو الروايات، أو البحث في نظرية من نظريات الأدب، أو البحث في مذهب من مذاهبه كالواقعية أو الرمزية، أو مدرسة من مدارس كمدسة الديوان، كما يمكن إعداد دراسات شمولية عن عصر من عصور الأدب، أو دراسة ظاهرة من الظواهر الأدبية كالزهد والتّصوف⁽¹⁶⁾.

-البحوث العلميّة النّقدية:

تتنوع الدّراسات النّقدية، وتتعدد ميادينها البحثية كتتبع حركة النقد الأدبي في عصر من العصور، أو قضية نقدية كالسرقات الأدبية، و الطبع والصنعة، أو علم من أعلام الحركة النّقدية، والوقوف على آثاره وجهوده، أو البحث في المدارس الأدبية ومذاهبها، ومناهج النقد وأدواتها، وكيفية تطبيقها على النّصوص الأدبية، وما يتوقع منها، وما يؤخذ عليها، كما يمكن البحث أيضا في البلاغة العربية كدراسة نشأتها وتطورها، ودراسة الأعلام الذين أثروا في تطورها كالمفسرين والنّحاة، أو موضوع من موضوعاتها، أو قضية من قضاياها كالإعجاز كذلك البحوث التّطبيقية التي تعنى بالعلاقة بين علوم البلاغة والنّص، وبحث في البنية التركيبية للنّصوص، أو في الدلالة أو بناء الصورة البلاغية إلى غير ذلك من مجالات النقد والبلاغة⁽¹⁷⁾.

الهيكل الهندسي لانباء لغات التّخصص :

إنّ الخلفية التي تقوم عليها عملية بناء أرضية لوجود لغات متخصصة هي تلك الأدوات والآليات المعتمدة في عملية التّفتيش، والتّنقيب، والتّقصي عن المعرفة، حيث مجال المعرفة متنوع وهذا ما يحيل إلى ضرورة تنوع الأدوات التي تعين الباحث في الوصول إلى حيثيات الحقيقة، وعليه فإنّ البحث في اللّغة يختلف عن البحث في الأدب ويختلف عنهما في النّقد.

لكي نتمكن من تبيان هذه الفوارق في البحث العلمي بين التّخصصات المذكورة نحدد المنطلقات التي نتخذها معالما في تبيان وجوه الاختلاف بين هذه المجالات في عملية البحث، وهذه المنطلقات هي المناهج المعتمدة، والأدوات والآليات، واللّغة والأسلوب.

تتعدد المناهج البحثية وتختلف، بحيث كلّ ظاهرة معرفية أو موضوع يفرض منهجا معيناً، يكون الأقرب إلى مقارنة الحقيقة من غيره، وفي أحيان آخر لا يكتفي البحث بالمنهج الواحد، بل يستعين بأكثر من منهج أو منهجين في تقصي حيثيات المعرفة، وتتفاضل الأدوار هنا بين المناهج من الأساسي في البحث إلى الثانوي المساعد.

كذلك الأمر بالنسبة للأدوات والآليات فإنّها تختلف من تخصص إلى آخر بحسب نوعية المقاربة أو الدّراسة، فقد تتطلب دراسة ظاهرة أدبية الحاجة إلى آلية الوصف والإظهار والتّبيان، بينما تتطلب الظاهرة اللّغوية آلية الاستقراء والإحصاء، في حين تركز البحوث النّقدية على التّحليل، والتّفسير، والتّبرير، والانتقاد.

أمّا بالنسبة للغة والأسلوب فإنّه هناك فوارق بين المجالات البحثية الثلاثة، بحيث في الدّراسات اللّغوية تسيطر اللّغة الإحصائية، التجريدية، الرياضية، بحيث تجد هذه اللّغة تميل إلى الموضوعية بشكل

كبير، أما في الدراسات الأدبية تكون اللغة فيها أدبية شاعرية خصوصاً إذا كانت الدراسة حول ظاهرة أدبية عند شاعر أو كاتب، فاللغة تتأثر بمجال البحث وتصطبغ به، أما الدراسات النقدية فاللغة فيها تهيمن عليها اللكنة النقدية، فنجدها تزخر بالأحكام التقريرية، وإن كان من خصائص البحث العلمي الابتعاد عن الذاتية ومجانبة الموضوعية إلى أقصى ما في سعة الباحث، إلا أننا في هذا المجال نحاول تسليط عدسات المجهر على هذه الفوارق الدقيقة، والخيوط الرفيعة بين البحث العلمي في اللغويات، والأدبيات، والنقد، لنتمكن من التأسيس لبناء لغات متخصصة.

من التعاريف التي أنيطت بالبحث العلمي أنه عملية فكرية منظمة يقوم بها الباحث من أجل تقصي الحقائق في موضوع البحث، بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى منهج البحث، بغية الوصول إلى إجابات عن الإشكال المطروح، أو نتائج صالحة للتعميم تسمى النتائج⁽¹⁸⁾، من خلال هذا التعريف نستخلص حاجة البحث العلمي من الباحث إلى التفكير العلمي المنظم، وتحديد موضوع البحث، وإتباع منهج منظم، قصد الوصول إلى نتائج مرصودة، فالمنهج هنا عنصر هام وأساسي في تحقيق معالم البحث العلمي، ولكل ظاهرة معرفية منهجا أو مناهج مناسبة تساعد الباحث في الوصول إلى النتائج المرغوب فيها.

1- الدراسات اللغوية والمناهج العلمية المعتمدة فيها:

يعرف ابن منظور المنهج بقوله: "منهج كنهج، ومنهج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق وضع واستبان وصار نهجا واضحا بينا، ونهجت الطريق سلكته، والنهج الطريق المستقيم"⁽¹⁹⁾ فالمنهج لغة الطريق الواضح الذي يسلكه الباحث في بحثه، أما مصطلح منهج الذي يتداوله الدارسون فيعرفه عبد الرحمن بدوي بأنه طائفة من القواعد العامة التي تنطوي على إشارات وتوجيهات كلية يهتدي بها الباحث أثناء بحثه من أجل الوصول للحقيقة العلمية⁽²⁰⁾.

إن طرق الوصول للحقيقة العلمية عديدة متنوعة بتنوع القواعد والإرشادات التي يهتدي بها الباحثون، لذلك فإن حصر مناهج البحث العلمي عامة يعد أمراً عسيراً، وقد رأى العديد من الدارسين أن مناهج البحث العلمي تتنوع بتنوع الموضوعات، والأهداف المراد تحقيقها⁽²¹⁾.

نحاول تصنيف بعض المناهج وفق التخصصات التي نروم تأسيس لغة البحث العلمي فيها، من خلال جملة الخصائص التي يمتاز بها كل منهج، ففي الدراسات اللغوية مثلاً نجد الأنسب إلى مقارنة الحقيقة فيها المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي:

يعدّ المنهج الاستقرائي من المناهج المشتركة والعامة التي تصلح للبحث في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وقد استخدمه العلماء العرب القدماء في دراسة ظواهر اللغة العربية، كما استخدموه في

مصنفاتهم الأدبية، وقد أشار شوقي ضيف إلى اعتماد العرب على المنهج الاستقرائي في الوصول إلى قواعد اللغة العربية في قوله: "و من أهم البحوث العلمية التي توضح مدى أخذ العرب من بالاستقراء علم النحو، فقد قام على الاعتماد اعتمادا تاما على السماع، وجعلوا ذلك أساسا لا ينقض لقواعده، فلا بد في كلّ قاعدة من استقراء واسع يعتمد عليه، وهي لا تبني إلا على الأعم الأكثر، ومثلها القياس فلا يقاس على شاذ، ولا على ما ورد في ضرورة الشعر، إنما على الكثرة الغالبة المستمدة من الاستقراء الدقيق"⁽²²⁾.

فالاستقراء في اللغة التتبع، قرأت الشيء جمعته وضممت بعضه إلى بعض للتعرف على أحواله، ومدى توافقه واختلافه⁽²³⁾، أما في الاصطلاح فهو الحكم على الكلّ من خلال ما يوجد في أجزائه، كما ذهب إلى ذلك شوقي ضيف ووصفه بكونه "الانتقال من الخاص الجزئي إلى العام الكلي"⁽²⁴⁾ فهذا المنهج ووفق الآلية التي يعتمد عليها يتناسب مع دراسة الظواهر اللغوية والحكم عليها من خلال تتبع جزئياتها.

تتلخص مراحل البحث العلمي وفق المنهج الاستقرائي في ثلاث خطوات أساسية وهامة:

1-مرحلة البحث: وينبغي للباحث فيها أن يمعن النظر في مفردات بحثه، ويلاحظ ما بينها من أوجه الشبه والاختلاف.

2-مرحلة الاكتشاف: وفيها يضع الباحث الفروض التفسيرية التي توضح العلاقة بين الظواهر التي لاحظها ورصدها.

3-مرحلة التحقق والتعميم: وفيها يتحقق الباحث من صحة الفروض من خلال الرجوع إلى جميع أجزاء الظاهرة أو موضوع البحث، و يقوم بفحص النتائج قبل أن تصبح أحكاما كلية، لكي يحقق الدقة والصحة⁽²⁵⁾.

كذلك من المناهج الملائمة للدراسات اللغوية نجد المنهج الوصفي، والبيנוي والتاريخي، الذي يلائم دراسة كلّ الظواهر المعرفية، باعتباره أشمل في الآليات والتقنيات، وكذلك المنهج التكاملي.

2-المناهج المعتمدة في الدراسات الأدبية:

من المناهج الملائمة لدراسة الظواهر الأدبية تلك المناهج التي تعتمد الوصف والتتبع لمسار الحركة الأدبية، وتبيان سماتها، ومن هذه المناهج نجد المنهج النفسي، حيث "يعرف المنهج النفسي بأنه محاولة جادة في فهم سلوك معين في تراث أدبي أو علمي أو فني وفق ما تملّيه دواخل كاتب النص ودوافعه، بحيث تؤدي دراسة السلوك كآثر إلى دراسة النفس المنشئة للنص أي تداخل النتائج والأسباب"⁽²⁶⁾.

كما يعرف المنهج النفسي بأنه " طريقة من طرق دراسة الأدب في محيط مجتمعه، إضافة لاعتباره سبيلا من سبل قياس الوعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بوسائل الاختبار والتجريب"⁽²⁷⁾ إلا أن

الدّراسة البحثيّة لا نستطيع تصنيفها ضمن الدراسات الأدبية إلا إذا اقتصرنا على التّوصيف والتّمثيل، وابتعدت كل البعد عن إصدار الأحكام، وإبداء الآراء النّقديّة، وإلاّ وجدنا أنفسنا ضمن الدّراسات النّقديّة.

إن الدّراسة النّفسية التحليليّة للنّص الأدبي تهدف إلى تحليل أثر معين من الآثار الأدبيّة للتّوصل إلى معلومات عن نفسيّة المؤلّف ليستخدمها في دراسة آثاره الأخرى وتوضيحها، ومن ثمّ الانتقال من حياة المؤلّف إلى آثاره الأدبية، ومن آثاره الأدبية إلى حياته⁽²⁸⁾ بغية الإحاطة بالظاهرة الأدبية من كل جوانبها وتوصيفها.

كذلك من المناهج المناسبة لدراسة الظواهر الأدبية نجد المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي، والمنهج التكاملي، بالإضافة إلى بعض المناهج النسقية مثل البلاغي والأسلوبي والسميائي والبنوي والتفكيكي.

1- المناهج المعتمدة في الدراسات النّقديّة:

من المناهج المعتمدة في الدّراسات النّقديّة للظواهر الأدبية نجد المنهج الجمالي الذي يعرف بأنّه "المنهج الذي يبحث في العلاقة بين العمل الفني وجمهور المتذوقين، وأنّه نقد للنقد، لأنّ النقد يسعى إلى تفسير العمل الفني وتحسين علاقته بجمهور متذوقيه، وأنّ المنهج الجمالي يهدف إلى تفسير هذا التفسير، وبحث ماهية هذه العلاقة والوقوف على شروطها وضوابطها، وأهمية علم الجمال بالنسبة للنقد أشبه بأهمية القواعد بالنسبة للغة، لأنّ الناقد الجمالي يحكم على قيمة الأعمال الفنية وفق هذه القواعد ووفق ذوقه وإحساسه بالجمال"⁽²⁹⁾.

فالدّراسات النّقديّة تناسبها المناهج التي تقف على التفسير وتعليل الظاهرة الجماليّة في الأثر الأدبي، لكن هذه الدراسة لا تكتفي بالتّوصيف بل تتجاوزه إلى إبداء الآراء والأحكام إزاءها، ومن هذه المناهج نجد المنهج المقارن الذي يقف حكماً بين الآثار الأدبية من لغتين مختلفتين أو من لغة واحدة وحقتين زمنيّتين مختلفتين مبرزاً نقاط الاختلاف والاقتراب، ومجالات التأثير والتأثر بينهما بغية الوصول إلى تجسيد و توصيف مناحي الجمال.

هناك قضية وجب الوقوف عندها في هذا الصدد، بحكم التّقارب والتّدخل الحاصل بين المناهج في الآليات والتّقنيات المعتمدة، حيث "تخصيص مناهج لدراسة الأدب وأخرى لدراسة اللّغة، وثالثة لدراسة البلاغة فأمر تعوزه الدقة، فالمنهج الوصفي الذي رأيناه مخصصاً عند بعض الدارسين للدّراسات اللّغوية هو منهج استخدمه الدارسون في بحوثهم الأدبية والبلاغية والنّقديّة مثلما استخدموه في الدّراسات اللّغوية، وكذلك الحال بالنسبة للمنهج التاريخي، الذي لا يتسع للدّراسات الأدبيّة واللّغوية وحسب، بل يتسع أيضاً لدراسة معظم العلوم الإنسانية، وبعض جوانب العلوم التّطبيقية أيضاً"⁽³⁰⁾ من هنا فإنّ

التّطلع لوجود لغة متخصصة يتطلب ضبط هذه المناهج من ناحية الآليات والتّقنيات المعتمدة في كل منهج، لأنّ هذا التّداخل بين الآليات يجعل الرؤية ضبابيّة في طريقة التّناول للظاهرة المعرفيّة.

آليات وأدوات المناهج البحثية:

تعدّ الآليات والأدوات البحثيّة الوسائل المعينة للوصول إلى الحقيقة، وتوضيح مراسمها فهي التي تتيح للباحث عمليّة الكشف وتيسرها، ولكلّ منهج آلياته الخاصة به في المقاربة والتّوصيف، فأدوات البحث "هي الوسيلة أو الطريقة التي يستطيع بها الباحث حلّ مشكلته مهما كانت تلك أدوات، بيانات، عينات أجهزة، إنّ البحث الجيد يتميّز بجمع المعلومات (البيانات) ولهذا وجب على الباحث أن يستخدم عدّة أدوات من أجل القيام بالبحث الذي يضمن له بالنهاية الوصول إلى الهدف، متمشياً مع طبيعة البحث وأدواته، فعليه أن يختار أداة لطريقة البحث، ويتأكد من أن هذه الأداة والطريقة تلائم البحث"⁽³¹⁾.

وباعتبار هذا البحث يروم رسم الحدود بين الآليات المعتمدة في الدّراسات اللّغوية، والأدبيّة، والنّقديّة، نحاول كشف اللّثام على بعض الآليات التي استأثر بها كلّ منهج دون غيره، وإن كان التّداخل بين الآليات سيد الموقف باعتبار أن الإشكاليّة التي يعاني منها البحث العلمي إشكاليّة في المنهج، والآليات التي يستعين بها، وطريقة تطبيقه، ذلك لأنّ هناك تداخل قوي بين المناهج في المقاربة بالنظر إلى التداخل الحاصل بين هذه الآليات، إلّا أنّنا سنحاول تصنيف آليات بحسب اعتماد المنهج عليها بشكل كبير، ومن ثمّ الخلوص إلى تصنيف لهذه الآليات وفق التّخصصات المدروسة.

في الدّراسات اللّغويّة يمكن للباحث الاستعانة ببعض الآليات التي تحيل إليها المناهج المعتمدة كالوصفي والاستقرائي، وهذا الاعتماد يكون بشكل غالب أو مهيمن، وليس بشكل قطعي، وذلك بالنظر إلى التّداخل الحاصل في الآليات بين المناهج، فمن أهم الآليات المعتمد عليها وبشكل كبير في الدّراسات اللّغويّة نجد طرق الإحصاء، وآليات الاستنباط، أمّا الدّراسات الأدبيّة فإنّها تنجح إلى الاستعانة بآلية التّحليل والتّدوق والتّوصيف، أمّا الدّراسات النّقديّة تعتمد آلية المقارنة والفحص ومن ثمّ النّقد وتوجيه الأحكام.

خلاصة:

في الأخير نستخلص أنّ البحث عن مرجعيات وخلفيات لانبناء لغات متخصصة يعتمد على عدّة تصنيفات وتقسيمات، يقوم بها الباحث في التّعامل مع البحث، والآليات المعتمدة المعينة في البحث، حيث التّأصيل والتّأسيس لوجود لغات متخصصة يعتمد على تصنيف هذه البحوث وفق المناهج المعتمدة، واللّغة والأسلوب، والآليات التي اعتمدها الباحث في تقصي مناحي الحقيقة في هذه التّخصصات، حيث لكلّ مجال معرفي طريقه الخاصة في التّوصل إلى حيثياته، ومناهج معينة هي أنجع لمقارنة مضانه.

وفي مجال اللّغة والأدب نجد هناك تمايز بين البحث اللّغوي والأدبي والنّقدي، ولكن هناك تداخل في آليات المقاربة، والبحث عند الباحثين في المنهج واللّغة والأسلوب، الأمر الذي جعل الكثير يعتقد أن البحث في اللّغة والأدب بحث شامل و موحد، من هنا فإنّ التّفكير في تأصيل لوجود لغات متخصصة يتطلب الوقوف والتّمييز بين اللّغوي، والأدبي، والنقدي من ناحية البحث، وآلياته من المناهج واللّغة والأسلوب، والآليات المعتمدة.

فأمّا بالنسبة للمناهج يجب أن يكون لكلّ تخصص بحثي مناهجه الخاصة به التي تكون أنجع من غيرها في تتبع، وتقصي حثيات الحقيقة، وكلما أجاد الباحث في انتقاء المنهج الخاص بمجال بحثه كان بحثه أقرب في ملامسة حقائقه، أمّا اللّغة والأسلوب كذلك لكل تخصص لغة خاصة به تؤدي وظيفة التعبير عنه، بشكل لا يدع مجال للشك، حيث البحث اللّغوي تكون لغته إحصائية رياضية تجريدية، أمّا البحث الأدبي تكون لغته مشحونة بالجانب الأدبي، والجمالي والشّعري، تنهل من معينه وتصطبغ بصبغته، في حين الجانب النّقدي تكون لغته تمتاز بالكنة النّقديّة والمقارنة وإصدار الأحكام.

أمّا الآليات فبالرغم من التّدخل الحاصل بين المناهج في هذه الآليات المعتمدة وجب التّمييز بين الآليات المهيمنة في كلّ تخصص، فالدراسات اللّغوية مثلاً تعتمد وبشكل كبير على آلية الإحصاء والاستبيان، أمّا الدراسات الأدبية تنو إلى الاستعانة بالآلية التحليل والتّدوق والتّوصيف، أمّا الدراسات النّقديّة فإنّها تحتاج آلية المقارنة والعرض والحكم.

الهوامش والإحالات:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف مصر، مادة (ب، ح، ث) 214/1.
- 2- ينظر: عدلي أبو طاحون، مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ج1/ص15
- 3- ينظر: نبيل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي، طبيعته، و مناهجه، وإجراءاته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013، ص:10.
- 4- فوقية حسن رضوان، منهجية البحث العلمي ة تنظيمه، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008، 17.
- 5- المرجع السابق، ص:14.
- 6- المرجع السابق، ص:19.
- 7- ينظر: ثريا عبد الفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1960، ص:24.
- 8- نبيل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي، ص:11.
- 9- فوقية حسن رضوان، منهجية البحث العلمي وتنظيمه، ص:20.
- 10- المرجع السابق، ص:11.
- 11- ينظر، المرجع نفسه، ص:11.

- 12- ينظر خالد الهاشمي، جامعة بغداد واجباتها وأهدافها، مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية، مطبعة أطلس، القاهرة، ص:92.
- 13- ينظر : نبل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي، ص:14.
- 14- ينظر: المرجع نفسه، ص:15.
- 15- ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط7، ص:6-16.
- 16- ينظر : خالد نبيل أبو علي، البحث الأدبي واللغوي، ص:15.
- 17- ينظر: المرجع نفسه، ص:15-16هـ.
- 18- ينظر:أنور محمود زناتي، فن كتابة الأبحاث والرسائل الجامعية منهجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2007، ص:50-51.
- 19- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن-ه-ج)
- 20- ينظر: عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص:3-11.
- 21- ينظر: سامي عريفيج وخالد مصلح ومفيد حواشن، في مناهج البحث العلمي وأساليبه، ط2، الأردن، 1987، ص:33.
- 22- شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص:80.
- 23- ينظر:إميل يعقوب، كيف تكتب بحثا، طبعة جروس، طرابلس، لبنان، 1986، ص:17-21.
- 24- شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص:83 .
- 25- ينظر:نبيل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي، ص:24.
- 26- المرجع نفسه، ص:36.
- 27- ريكان إبراهيم، نقد الشعر من المنظور النفسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ط1، ص:13.
- 28- ينظر: المرجع السابق، ص:37.
- 29- المرجع نفسه، ص:47.
- 30- المرجع نفسه، ص:63.
- 31 - وجيه محجوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط2، 2005، ص:147.